

قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

أعمال موجهة في مادة (نقد النقد) السنة الثانية ليسانس، تخصص: دراسات نقدية

إعداد الدكتورة: دلال فاضل

الأفواج: 1 + 2

التطبيق رقم: 02+03

تطبيق: النقد والدراسات الأدبية

إن العلاقة بين النقد الأدبي والدراسة الأدبية يمكن إذاً، أن ترى من زاويتين، زاوية النقد وزاوية الدراسة. فزاوية النظر الأولى إشكالية من حيث رغبة النقد في أن يكون علماً منجزاً بمواصفات الدراسة العلمية للأدب والأدباء. أما زاوية الدراسة الأدبية فهي تجعل العلاقة غير إشكالية، لأنها تصبح علاقة معرفية محددة، تعي خصوصياتها بالقياس إلى الأدب وقياساً بالنقد نفسه، وتتجاوز عيوب النقد، وترفض أن يكون موضوعها غير محدد؛ فهي تعرفه بدقة وتراه وفق شروط العلم كما تعتقد، ولا تريد أن تكون رأياً فقط. لكن هذا الموضوع يختلف بحسب نوعية المعرفة التي تعتمدها الدراسة الأدبية.

فالموضوع الأدبي موجود فيها بصفة محددة، ومعينة وإن اعترفت نظرياً بأنه موضوع يمتلك خاصيات أخرى، إلا أنها تسكت عنها عملياً أو تتجاهلها، وتشتغل ضمن الحدود التي تقرها، عملاً بمبدأ الملاءمة والعلمية، بينما النقد يمكنه أن يعمل في وقت واحد على موضوعه دون الإقرار بهذا المبدأ.

وإذا، فإن الدراسة الأدبية، كما تفترض هي، ليست نقداً، ومجالها هو اشتغال أنواع من العلوم الإنسانية التي تحول الأدب إلى «وثائق»، وترجع من خلالها إلى قوانين أحد العلوم وصولاً إلى نتائج تؤكد جدارة تلك القوانين وتفرض حقائق تصب في مجرى محصول ذلك العلم. ويسبب ذلك، حملت شعار «علم الأدب» وأرادت عن وعي أن تبتعد عن النقد، وجعلت عملها خاضعا للتحقيق والمراجعة والمناقشة في مواقع ومؤسسات مهنية أو قريبة منها، وتمكنت من ترجمة قوتها وجدارتها بأن جعلت «مقبوليتها» -مقبولية الدراسة الأدبية- من مقبولية المقدمات والنتائج وقابلية التصحيح لترفع الإشكال عنها ولتصير القضية في نهاية الأمر قضية «منهج».

وبالرغم من هذا كله، فإن التنظير النقدي يبقى متمسكا ببقاء الدراسة الأدبية ضمن حدود النقد، ما دام النقد الأدبي يعتبر موضوع «الأدب» ملكه الوحيد ويعمل لكيلا يضع حدودا حاسمة في أشكال التعامل مع هذا الموضوع، وهو أمر يصادف هوى لدى دارسي الأدب الذين لا يمانعون في تسمية أنفسهم بالنقاد، وادعاء إنتاج النقد بما هو نزوع للانتشار والخروج من نطاق المؤسسات والتخصصات إلى مجال الثقافة والمجتمع والصحافة.

يترتب عن وضع النقد في علاقته «بالمنهج»، نتيجة واضحة هي أن النقد الأدبي يعيش بالفعل وضعا متوترا بسبب غياب كيان معرفي له يستطيع أن يكون فيه منهجا. فهو يشغل ضمن حدود غير واضحة تجعله يستعير النماذج ويغير نظراته إلى موضوعه نفسه. ويكفي أن ننظر إلى علاقته بالعلوم التي يتكل عليها حتى نتأكد من أن موضوعه يتغير بحسب تلك العلوم.

والنظرة إلى «الأدب» هي عنصر جوهري في مفهوم النقد. فالنقد حين يُعرف، يعرف أساسا كعلاقة بموضوعه، هذا الموضوع الذي ظل وما يزال السر المحير، هو ذلك الشيء الذي يبحث عنه المنظرون خلف ما يمكن أن يرى ويعرف، إلى درجة يكون هذا «الأدب» لا

وجود له، إنه مجرد فكرة لا يمكن التحقق منها، وكل ما هناك «نصوص» تختلف في صفاتها.

ولذا يمكن القول بأن النقد أشبه بنهر تقطعه جسور كثيرة، لكن لا جسر يمكن أن يتحكم في طول هذا النهر أو يمكن أن يتحكم في مجراه. وبين هذه الجسور يمكن أن تكون مسافات قريبة وأخرى بعيدة، مثل المسافة التي تنظر إلى الأدب بوصفه نصا وتتلمسه بالعودة إلى مرجع في الواقع، أو تتلمسه بإخضاعه إلى قوانين علم مثل علم اللغة؛ بل حتى داخل علم اللغة يمكن أن ينظر إلى هذا «النص» نظرات متناقضة، تتراوح بين النظرة الواصفة والنظرة التفكيكية، أو بين الرؤية المعتمدة على ثوابت والرؤية التي تبحث عن المتغيرات. ويمكن أن يحدث الاختلاف في النظرة، أو في تعريف الأدب/ النص ضمن الاتجاه الواحد، بحسب الفهم الذي يتمكن منه المنظر والمعالج للنص -الأدب، ومنه تلقائيا يكون تغير مفهوم النقد.